

حكايات ألف ليلة

مصائب .. مصائب

بقلم : أ. عبد الحميد عبد المقصود
رسوم : أ. إسماعيل دياب
إشراف : أ. حمدي مصطفى

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

واصَلَ الْخيَّاطُ المتَّهمُ بقَتْلِ مُهرِّجِ مَلِكِ الصِّينِ الأَحْدَبِ ، حِكايَةَ الشَّابِّ الأَعْرجِ ، الذى قابلهُ فى الْوَليمَةِ معَ حلاَّقِ (بغْدَاد) قائِلاً :

- جَمعَ حلاَّقُ (بغْدَاد) كُلَّ ما فى منْزِلِ الشَّابِ الْمِسكينِ منْ طعامٍ وحلْوَى وفاكِهَةٍ ، ليَحْمِلَه إلى ثُلَّةِ أَصْدِقائِه المُشَرْذَمينَ ، وأَصرَّ على اصْطِحابِ الشابِّ معهُ ، حتى يعَرِّفَهُ بأَصدِقائِه الصَّعاليكِ ..

وحاولَ الشابُّ الْمِسْكينُ مُراوَغتَهُ والتَمَلُّصَ مِنْه ، حتى يَنْجُوَ منْهُ ، ويتخلَّصَ منْ فضُولِهِ وثَرْثَرَتِه وثِقَلِ ظلِّهِ ، حتى يتمكَّنَ منَ الذَّهابِ إلى مَوْعِدِهِ ، لكنَّ الْحلاَّقَ حاصرهُ بقَوْلِهِ :

لنْ أَتْركَكَ تَمْضى وَحْدَك ..

وواصَلَ الشَّابُّ الْمِسْكينُ حِكايَتَه قائِلاً : لَمَّا رأَيْتُ إِصْرارَهُ على اصْطِحابى قُلْتُ لهُ : الْمكانُ الذى أَنا ذاهِبٌ إليْهِ لا يسْتَطيعُ أَنْ يدْخُلَهُ أَحدٌ غيْرِى ..

فلمَّا سمعَ ذلكَ السَّمجُ كَلامى ، ابْتَسَمَ مُسْتَخِفًا ، وقالَ لى فى دهَاءٍ : الآنَ فهِمْتُ كلَّ شئٍ .. أَنْتَ على مَوْعِدٍ معَ فتاةٍ ، وإلاَّ لكنْتَ أَخَذْتنى معَكَ .. أَنا أَوْلَى منْ جميعِ النَّاسِ بالذَّهابِ معَك ،



حتى أَسَهِّلَ لكَ خطْبتَهَا ، إنْ كُنْتَ ترغَبُ فى الزَّواجِ مِنْها ..

فقلتُ له : اسْكُتْ ولا تُدْخِلْ نَفْسَك ، فيما لا يَعْنيكَ ، حتى لا تسْمَعَ ما لا يُرْضيكَ ..

فسكتَ ذلك الْمَشْئومُ سكُوتًا طويلاً ، وانشَغلَ بحِلاقَةِ شَعْرى ، حتى أَذَّنَ الْمؤَذِّنُ لِصلاةِ الْجُمعَةِ ، وبدأَتِ الْخُطْبَةُ ، فانْتَهى منْ حِلاقةِ رأْسِى ، فقلْتُ له مخادِعًا :

خذْ هذا الطَّعامَ ، وامْضِ به إلى أَصْحابكَ ، وسوْفَ أنتَظِرُكَ حتى تعودَ وتذْهبَ مَعِى ..

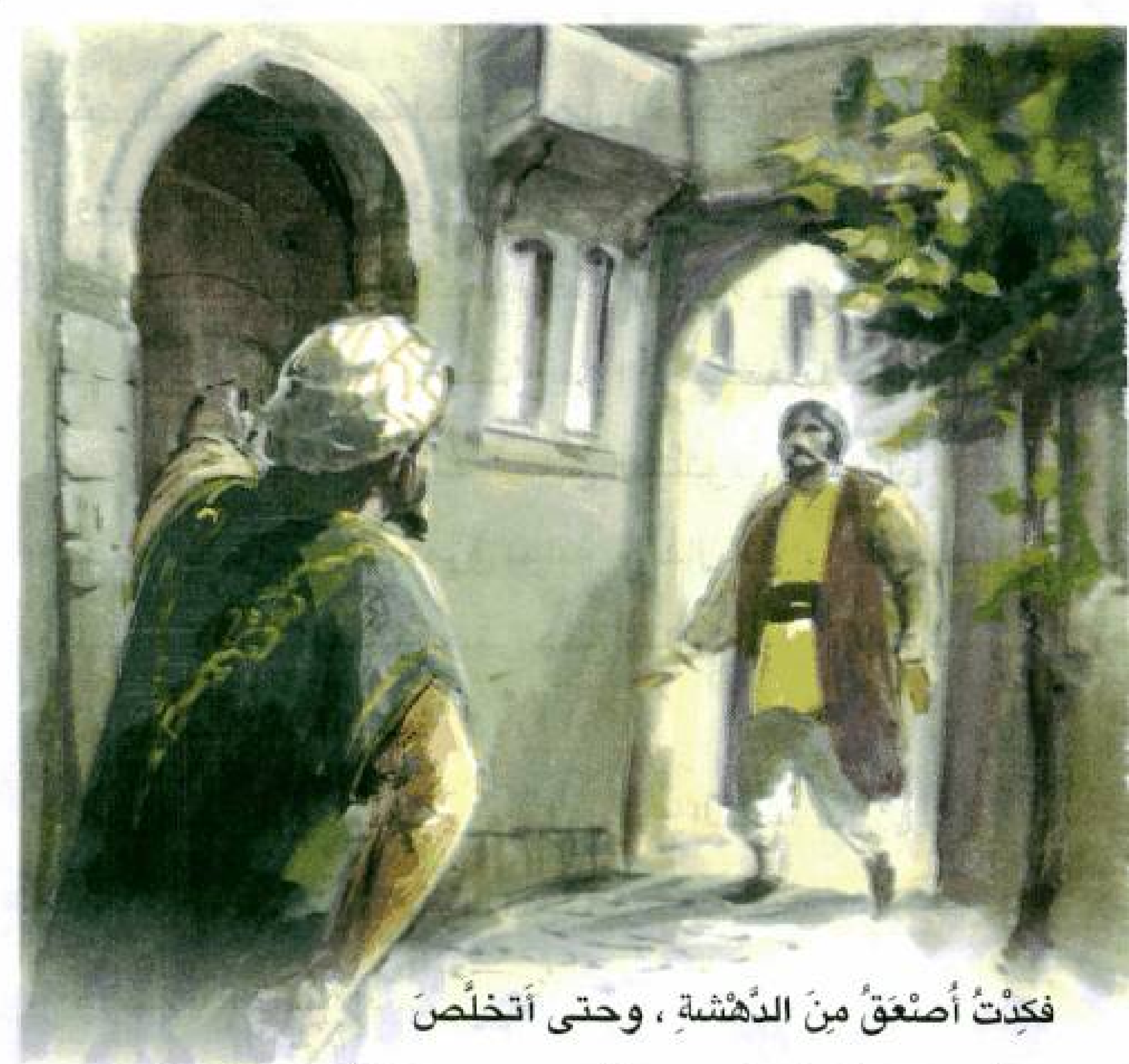
فقالَ لى : أَنْتَ تُحاوِلُ خِداعى ، حتى تذْهَبَ وحْدَكَ ، وتَرْمى بنَفْسِكَ فى مُصيبَةٍ لا خلاصَ لكَ مِنْها ، فربْما كانَتِ الْفتاةُ التى أَنتَ ذاهبُ لِخِطْبَتِها دَميمةً .. وربْما .....

فقاطعْتُهُ قائِلاً وأَنا لا أقْصِدُ سِوَى خِداعِه : اذْهَبْ ولكنْ لا تتأَخَّرْ علىَّ ، وأَعِدُكَ ألاَّ أَذْهبَ بدونِكَ ..

ويَبْدو أَنَّهُ كانَ غيرَ واثِقٍ منْ وَعْدِى له ، لأَنَّهُ أَخذَ كلَّ ما أَعْطَيْتُهُ إِيَّاه مِنْ طعامٍ وخرجَ منْ عِنْدى فسلَّمَهُ لِلْحمَّال وأَوْصاهُ أَنْ يوصلَهُ لِبَيْتِه ، ثم اخْتَفَى فى أَحدِ الأَزِقَّةِ ، حتى لا أَراهُ ..

أَما أنا فما صدَّقْتُ أَنَّه رحلَ ، حتى نَهَضْتُ ، فارْتَدَيْتُ فاخِرَ ثِيابى ، وسارَعْتُ بالْخروجِ قاصِدًا بيْتَ قاضِى الْقُضاةِ ، حتى أَسْتَطْلِعَ رأْىَ الْفتاةِ ، قبلَ مُقابلَةِ أَبيها وخِطْبَتِها مِنْه ..

سِرْتُ فى الشوارِعِ والأَزِقَّةِ ، غيْرَ مُصَدِّقٍ بِنَجاتى منْ ذلكَ الْفُضُولِىِّ ، حتى وصلْتُ إلى بيْتِ قاضى الْقُضاةِ ، فوجَدْتُ الْبابَ مَفْتوحًا ، فنظرْتُ خلْفِى ، ورأَيتُ ذلكَ الشَّيْطانَ يتْبَعُ أَثَرى ،



فكِدْتُ أُصْعَقُ مِنَ الدَّهْشةِ ، وحتى أَتخلَّصَ

منْ فُضُولهِ اخْتَفَيْتُ داخِلَ الْبيتِ ، ولمْ أكَدْ أَفْعَلُ ذلكَ ، حتى عادَ

قاضى الْقُضاةِ إلى منْزِله منَ الصّلاةِ ، وأَغْلقَ بابَ الْبَيْتِ خلْفَهُ ..

وهكذا أَصْبَحْتُ مَحْبوسًا داخِلَ الْبَيْتِ ، وأَنا لا أدْرى ماذا تخَبِّئُه

لى الْمقادِيرُ ..

أَما ذلكَ الْفضُولىُّ فقدْ ظلَّ واقِفًا ينْتَظرُ خارجَ الْبَيتِ ،

ولَيْتَ اللَّهَ كانَ قدْ قصَفَ أَجَلَهُ ، قبلَ أَنْ يحدُثَ ما حَدثَ ..

ويَبْدو أَنَّ كلَّ شيْءٍ كانَ مُدبَّرًا ضِدِّى ، لأَنَّ أَحدَ الْخدَمِ بالْبَيْتِ قدْ أخْطأَ أَمامَ سَيِّدِه ، فأَمْسكَ قاضى الْقُضاةِ بِسَوْطِه ، وانْهالَ عليْهِ ضَرْبًا ، وأَخذَ الْخادِمُ يصرُخُ مِنَ الأَلَمِ مُسْتَغيثًا بشدَّةٍ ..

وما حدثَ بعْدَ ذلكَ أَنَّ ذلكَ الْحلاقَ الْمَشْئومَ ، اعْتقَدَ أَنَّ قاضِى الْقُضاةِ يضْرِبُنى أَنا ، فمزَّقَ ثيابَهُ ، وأَهالَ التُّرابَ على رأْسِهِ ، وأَخذَ يصْرُخُ مُسْتَغيثًا ، حتى جمعَ الناسَ حوْلَهُ ، فلما سأَلوهُ عنْ سببِ صُراخِهِ قالَ لهمْ :

- قتلَ قاضى الْقُضاةِ سَيِّدى .. قتلَ قاضى الْقُضاةِ سَيِّدى ..

ثمَّ أَخذَ يَصيحُ مُوَلْوِلاً ، والناسُ يصْرخونَ معَهُ :

واقَتِيلاهُ .. واسَيِّداهُ ..

فلما سَمعَ قاضِى الْقُضاةِ ذلكَ ، فتحَ مسْتَطْلِعًا ما يَحْدُثُ بالْخارِجِ ، فلما رأى ذلكَ الأَحْمَقَ يصْرخُ ممزَّقَ الثيابِ ، قال مُسْتَفْسِرًا :

ماذا حدثَ ؟! ولماذا كُلُّ هذا الصُّراخِ والْعَويلِ ؟!

فقالَ له ذلكَ الْمَشْئومُ : لأَنكَ قتَلْتَ سيِّدى ..



فقالَ قاضى الْقُضاةِ فى دهْشَةٍ : وماذا فعَل سَيِّدُكَ ، حتَّى أَقْتُلَهُ ؟!

فقالَ ذلك الْمشئومُ : لقدْ ضربْتَهُ بالْمقارع ، مُنْذُ قليلٍ ، ولقدْ سمِعْتُ صِياحَهُ واستِغاثَتَهُ مِنْ هُنا ..

فزادتْ دهْشَةُ قاضِى الْقُضاةِ وقالَ :

وما الذى أَدْخَلَه دارى ، حتى أَقْتُلَهُ ـ كما تَزْعُمُ ؟!

فقالَ ذلك الْمشْئومُ فى غباءٍ :

لا تكنْ شيْخًا أحْمَقَ يا قاضى الْقُضاةِ ، فأنا أعْلمُ أنهُ جاءَ لِمقَابَلةِ ابْنَتِكَ ، قبْلَ أنْ يتقدَّمَ لِخطْبَتِها منْكَ .. لقدْ دخلَ سيدى دارَكَ مُنْذُ قليلٍ ، وأنا واثِقٌ أنَّكَ قتلْتَه ، إنْ لمْ تُخْرِجْه لنا شكَوْتُك إلى والى (بَغْداد) ..

فشعَرَ قاضى الْقُضاةِ بالْخَجَلِ منَ النَّاسِ ، واسْتَمَرَّ حلاَّقُ الشُّؤْمِ قائلاً :

هيَّا ادْخلْ وأسْرِعْ بِإخراجِ سيِّدى ، حتى لا تضْطرَّنى إلى الدُّخولِ وإخْراجِهِ بنَفْسى ، أمامَ هؤلاءِ الشُّهودِ ..

فقالَ قاضى الْقُضاةِ :

إذا كنْتَ واثِقًا أنَّ سيِّدَكَ بالدَّاخلِ ، فادْخُلْ أنْتَ وأخْرِجْهُ بِنفْسِك ..

فأسْرعَ ذلك الْحلاَّقُ الْمَشْئومُ بالدُّخولِ إلى دارِ قاضى الْقُضاةِ ، وراحَ يَجُوبُها باحِثًا عنِّى ..

فلما رأيْتُهُ مُصِرًا على الْعُثُورِ علىَّ ، حاولْتُ الْهرَبَ ، لكِنَّنى لم أقْدِرْ لكَثْرَةِ الزِّحامِ بالْخارجِ ، فأسْرَعْتُ بالصُّعُودِ إلى الطَّابِقِ الْعُلْوِىِّ ، ورأيْتُ صُنْدوقًا كبيرًا ، فاخْتبأْتُ بداخِلِه ، وجذَبْتُ



غِطاءَ الصُّنْدوقِ علىَّ ، كلُّ هذا ولمْ أَرَ الْفتاةَ ، ولا تحدثْتُ إليْها بكلمَةٍ واحدَةٍ ..

واسْتَمرَّ بحْثُ ذلكَ الْفُضُولِيِّ عنى ، حتى وصلَ إلى الطَّابقِ الْعُلْوِيِّ ، ولما رأى الصُّندوقَ حملهُ لِينْزِلَ به ، وهوَ يصيحُ :

وجدْتُهُ .. وجدْتُه .. وجَدْتُ سيِّدى داخِلَ هذا الصُّنْدُوقِ ..

فلمَّا علمْتُ أنهُ لنْ يتْرُكَنِى ، فتحْتُ غِطاءَ الصُّنْدوقِ ، وقفَزْتُ مِنْه ، فكُسِرَتْ ساقِى ، وعِنْدمَا توجَّهْتُ إلى الْبابِ لأَخْرُجَ ، وجدْتُ خلْقًا كثيرًا ،

فاخْتَرَقْتُ الزِّحامَ ، وظَلَلْتُ أَجرى ، وأَنا أَجرُّ ساقِى المكْسُورَةَ ، وكلَّما دخلْتُ زُقاقًا دخلَ ذلك الْحلاَّقُ الْمَشْئُومُ خَلْفى ، وهو يَصيحُ :

أَرادُوا أَنْ يفْجَعُونى فيكَ يا سَيِّدى ، ولكنَّ اللَّهَ نَصرَنى عليْهِمْ ، حتى خلَّصْتُكَ منْ أَيْديهِمْ قبْلَ أَنْ يقْتُلُوكَ .. ثمَّ أَخذَ يُعَاتِبُنى قائلاً :

هلْ رأَيْتَ يا سيِّدى نتيجَةَ تَسَرُّعِكَ ؟ أَلمْ أَنْصَحْكَ بعدَمِ التَّسَرُّعِ ، وأَقُلْ لكَ إنَّ فى الْعجَلَةِ النَّدامَةَ ؟!

أَلَمْ أُلحَّ عليْك لتأْخُذَنى معكَ ؟! لولا أَنْ ساقَنى اللَّهُ إليْكَ فى الْوَقْت الْمناسِبِ ، ما كنْتَ خرجْتَ منْ هذه الْمُصِيبَةِ إلاَّ جثَّةً هامِدَةً خامِدَةَ الأَنْفاسِ ..

وسكتَ حتى يلْتَقِطَ أَنْفاسَهُ ، ثم صاحَ قائِلاً فى خُيَلاَءٍ :

ادْعُ اللَّهَ ، واطْلُبْ مِنْه أَنْ يُمدَّ فى عُمْرى ، حتى أَكُونَ بجوارِكَ دائِمًا ، واخلِّصَكَ منْ كلِّ مُصيبةٍ تُلْقِى نفْسَكَ فيها بِسوءِ تَدْبيرِكَ ..

فلمْ أَسْتطعِ السكُوتَ أَكْثَرَ منْ ذلكَ ، وانْفَجرْتُ قائلاً له فى غَيْظٍ :

أَما كفاكَ ما جَرى لى بسَبَبِكَ ، وما جرَرْتَهُ علىَّ بفُضُولِكَ منْ مَصائِبَ حتى تَجْرى خَلْفى فى الأَزِقَّةِ والشَّوارِعِ ؟!



وصِرْتُ أَتَمنَّى الْمَوْتَ حتى أَتخلَّصَ منْ ذلكَ الْفُضُولِىِّ ، لكِننى لمْ أَجدْ مَوْتًا يُنْقِذُنى مِنْهُ ..

وتمكَّنْتُ مِنَ الْفِرارِ منْهُ فى النِّهايَةِ ، فدخَلْتُ دُكَّانًا بالسُّوقِ ، واسْتَجَرْتُ بصَاحِبِ الدُّكانِ ، فأَجارَنى مِنْه ، وجلَسْتُ فى مَخْزَنِ صاحِبِ الدُّكانِ ، وأَخذْتُ أُفكِّرُ فيما حدثَ لى ، فهانَتْ علىَّ نفْسِى ، وقلْتُ فى كَمَدٍ وغَيْظٍ :

ذلك الْحلاقُ مُصِرٌّ على قَتْلى كمَدًا .. لنْ أَسْتطيعَ مِنْهُ فِرارًا بعْدَ

الآنَ ، بلْ إنه سَيُقيمُ عِنْدى ليلَ نهَارَ ، وأَنا لا أَسْتَطيعُ النَّظَرَ فى وجْهِهِ الْبَغيضِ ..

وبعْدَ تفْكيرٍ طويلٍ قُلْتُ فى نَفْسى :

ليْسَ هناكَ سِوَى حلٍّ واحدٍ ، حتى أَتخلَّصَ منْ ذلكَ الْحلاَّقِ اللَّزِجِ كالذُّبابِ ، وهوَ أَنْ أَبيعَ دارى ودُكَّانى وتِجَارَتى وكُلَّ أَمْلاكى ، وأَرْحلَ عنْ (بَغْدَادَ) ..

وعِنْدَما استْراحَ قَلْبى إلى هذا الْحَلِّ ، قَرَّرْتُ أَنْ أُنَفِّذَهُ فوْرًا ..

وهكذَا بِعْتُ كُلَّ أَمْلاكى ورحلْتُ عنْ (بَغْداد) مُرْتحلاً ومُسافِرًا فى الْبلادِ ، حتَّى جِئْتُ إلى بلادِ الصِّينِ ، ودُعِيتُ إلى هذهِ الْوَليمَةِ الْعَامِرَةِ ، وهأَنَذَا أَرى ذلك اللَّزِجَ الْبَغِيضَ أَمامِى ، ولهذا قرَّرْتُ الامْتِناعَ عنْ مُشارَكَتِكُمْ فى هذهِ الْوَليمَةِ ، لمَّا رأَيْتُ ذلكَ الْحلاقَ الْبغيضَ جالِسًا بيْنَكُمْ ، بعْدَ فِعْلِ ما فعلَ بى ، وكانَ السَّبَبَ فى عَرَجى ، وكسْرِ ساقِى ..

ولما انْتَهَى الشَّابُّ الأَعْرَجُ منْ رِوَايةِ حِكايَتِهِ معَ حلاَّقِ (بَغْدَادَ) وما جرَى لهُ بسَبَبِ فُضُولهِ وثَرْثَرَتِه ، نظرَ الْحاضِرونَ إلى الْحلاَّقِ وسأَلوهُ :



هلْ كلُّ ما قالَهُ ذلكَ الشّابُّ عنْكَ صَحِيحٌ أَيُّها الثَّرْثَارُ كثيرُ الْكَلامِ ؟!

فضَحِكَ حلاّقُ (بغْدادَ) وقالَ :

لقَدْ فعَلْتُ ذلكَ حتى أُنْقِذَهُ منْ مُصيبَةٍ كانَ مُقْبلاً علَيْها ، ولولا أنِّي فعَلْتُ ذلكَ لَهلَكَ .. لقدْ نجّاهُ اللّهُ بي ، فليَحْمَدِ اللّهَ على أَنَّني كُنْتُ قليلَ الْكلامِ ، فكسَرْتُ رِجْلَهُ ، ولوْ أَنني كنْتُ ثَرْثارًا ، كثيرَ الْكلامِ - كما يزعُمُ - لهَلَكَ وكانَ الآنَ في عِدادِ الأَمْواتِ ..

فتعجبَ الْجميعُ ، وقالَ الشابُ الأَعْرجُ مُسْتَنْكِرًا :

أَنْتَ قليلُ الْكلامِ ؟!

فقالَ الْحلاقُ فى تبَجُّحٍ :

نعمْ ، وسوْفَ أُدلِّلُ لَكمْ على أَنى قليلُ الْكلامِ ، وليْسَ عِنْدى فُضُولٌ - مثلُ بقيَّةِ إخْوَتى السِّتةِ - بهذِهِ الْقِصَّةِ التى وقعَتْ لى أَنا شَخْصِيًا ..

فأَنْصتَ الْحاضرونَ وبدأَ حلاَّقُ (بغْدادَ) يرْوى قصَّتَهُ قائلاً :

كُنْتُ فى (بغْدادَ) فى عهْدِ الْخليفةِ (الْمنتَصِرِ باللَّهِ) وكانَ ذلكَ الْخليفَةُ يُحِبُّ الْفُقَراءَ والْمساكِينَ ، ويُجالِسُ الْعُلماءَ والصالحينَ .. وذاتَ يوْمٍ غضِبَ الْخليفَةُ على عشَرَةِ أَشْخاصٍ ، فأَمَرَ والى (بغْدادَ) أَنْ يأْتِيَهُ بهمْ فى زوْرَقٍ .. فلمَّا رأَيتُهُمْ فى الزَّوْرقِ قلْتُ فى نَفْسِى : ما اجْتَمعَ هؤُلاءِ الأَشْخاصُ فى ذلكَ الزَّوْرَقِ ، إلاَّ منْ أَجْلِ عُزُومَةٍ ، ولا بُدَّ أَنهمْ سيَقْضونَ يوْمَهمْ فى أَكْلِ فاخرِ الطَّعامِ .. واللَّهِ لا يكُونُ نديمَهُمْ غيْرى ..

وهكذا نزلْتُ معهمْ فى الزَّوْرقِ .. وبعْدَ قليلٍ جاءَ الْحُراسُ بالْقُيودِ فوضعُوا فى رقَبَةِ كلٍّ منا قيْدًا ، وأَنا صامِتٌ لا أَتكلَّمُ ،



حتى قادُونا إلى الْخليفَةِ ، فأَمَر بضَرْبِ رِقَابِ الْعَشَرةِ ، فأَخذهُمُ السَّيَّافُ وضرَبَ رِقابَهُمْ واحِدًا ورَاءَ الآخرِ ، وأَنا واقِفٌ بَعيدًا ..

فنظرَ الْخليفَةُ نَحْوى وقالَ للسَّيَّافِ : أَظُنُّكَ نسِيتَ أَنْ تضْرِبَ رقَبَةَ الْعاشرِ ، فأَقْسَمَ لهُ السيَّافُ أَنهُ ضربَ رِقَابَ عشْرَةٍ ، وعنْدَما عدُّوهمْ وجَدوهمْ عشَرْةً ، فعَرفوا أَنَّنى لسْتُ مِنْهمْ ..

فنظرَ إلىَّ الْخليفَةُ مُتَعجِّبًا وقالَ : لماذا جئْتَ مع هَؤُلاءِ الْمُجْرِمينَ ؟!
ولماذا سكَتَّ عنِ الْكلامِ ، حتى كدْتَ تهْلكَ معَهُمْ ؟!

فقُلْتُ له : اعْلَمْ يا أميرَ الْمؤْمنِينَ أنِّى الشَّيْخُ الصَّامِتُ قليلُ الْكلامِ ، وأنني حلاَّقٌ ، ولوْ كُنْتُ ثَرْثارًا كَثيرَ الْكلامِ ـ كما يزْعُمُ الناسُ ـ لتكلَّمْتُ وقُلْتُ إنى رَكِبْتُ الزَّوْرَقَ معَ هؤلاءِ الأشْرارِ الْمجرمينَ ، وأنا أعْتَقِدُ أنهمْ ذاهِبُونَ إلى وَليمَةٍ .. فلمَّ رأيْتُ الحراسَ يضَعُونَ الأغْلالَ فى أعْناقِهِمْ منَعَتْنى مُرُوءَتى منَ الْكلامِ ، وذكْرِ الْحقيقَةِ ، حتى كدْتُ أُشارِكَهُمْ فى الْقَتْلِ وأموتَ معَهُمْ ..

فلمَّا سمِعَ الْخليفَةُ كلامى ، وعلِمَ مُرُوءَتى ، وأنَّنى لسْتُ ثَرْثَارًا ولا كَثِيرَ الْكلامِ ـ كما يَزْعُمُ هذا الشَّابُّ ـ قال لى : وهلْ كُلُّ إخْوَتِكَ السِّتَّةِ مِثْلُكَ قلِيلُو الْكَلامِ ؟!

فقلْتُ له : لا .. لا عاشوا ، ولا بَقَوا إنْ كانوا مِثْلِى ..

لقدْ أصبحَ كلُّ واحدٍ منهُمْ بعاهَةٍ منْ كَثْرةِ فُضُولِهِمْ وثرْثَرَتِهمْ ..

فأحَدُهُمْ أعْوَرُ ، والآخَرُ أعْرجُ ، والثَّالِثُ أحْوَلُ والرابعُ أعْمَى ، والْخامِسُ مَقْطُوعُ الأُذُنَيْنِ والأنْفِ ، والسَّادِسُ مقْطُوعُ الشَّفَتَيْنِ .. ولكلِّ واحدٍ منهمْ حكايةٌ هى الَّتى جعَلَتْهُ بعاهَةٍ مُسْتَدِيمَةٍ ..

فلمَّا سمعَ الْخليفَةُ مِنِّى ذلكَ أصرَّ على أنْ أحْكِيَ له حِكَايَةَ كُلِّ واحدٍ مِنْ إخْوَتى ..

(يتبع)

رقم الإيداع : ١٥٩٥١ / ٢٠٠١

الترقيم الدولى : X ـ ٦٩١ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧